



فروع من الشجرة الملعونة في القرآن (3 - 12)

بقلم: رانف محمد الويشي

15 أبريل 2013

ذكرنا في الحلقة الأولى من هذه الدراسة أننا نعانى - كشعوب إسلامية - من تاريخ كتبه الطغاة لخدمة أجنداتهم السياسية ، ومن ضمن هذا الذي أخفوه عنا - رغم تواجده في أمهات الكتب المعتبرة عند القوم - هو الأحاديث النبوية التي أكدت على أن بني أمية هم الشجرة الملعونة في القرآن ، وقد ذكرنا في الحلقة فكرة عامة عن أسماء فريق الجيل الأول من الأمويين ، كما ذكرنا مع الكثير من تلك الأحاديث النبوية التي تناولت هذا الشأن ..

في الحلقة الثانية قدمنا أحد أهم فروع الشجرة الملعونة في القرآن ، إنه صخر ابن حرب ، الملقب بأبي سفيان ، رأس الكفر وقائد المشركين ، وصاحب أكبر عدد من اللعنات النبوية ، وزعيم الطلقاء الذين أسلموا كرها يوم الفتح ..

في الحلقة الثالثة اليوم سناول ذكر أسماء أخرى من فريق الطلقاء بالشجرة الملعونة في القرآن ، سنلاحظ تشابههم في السفاح والرذيلة ، واتفقهم على كراهيتهم الشديدة للنبي الإسلام ..

عقبة بن أبي معيط

هو عقبة بن أبي معيط (أبان) ابن أبي عمرو (ذكوان) بن أمية ابن عبد شمس ، لا يوجد تاريخ عن مولده ، إلا أنه كان قريبا من عمر النبي (ص) الذي ولد في عام 571 م ..

نسب عقبة بن معيط

ذكرنا في الحلقة الماضية أن أمية لم يكن عربيا ، بل كان روميا اشتراه عبد شمس ، أما أمية فقد ناكح سفاحا يهودية من أهل صافوراء فحملت له ذكوان .. تزوج ذكوان بزوجة أبيه - كانت تسمى الصهباء - فحملت له عقبة ، وقد ذكر النبي (ص) لعقبة أصله اليهودي عند قتله ، كما سيأتي في نهاية الفقرة الخاصة به ..

من هو معيط ؟

ويروى أن أمية هذا ذهب إلى الشام وزنى هناك بأمة يهودية فولدت له ولدا أسماه ذكوان ولقبه أبو عمرو وجاء به إلى مكة مدعيا أنه مولى له حتى إذا كبر اعتقه واستلحقه ، ثم زوجه امرأته الصهباء ..

قال ابن أبي الحديد - توفي في عام 656 هـ - في شرح نهج البلاغة أن أمية فعل في حياته ما لم يفعله أحد من العرب ، زوج ابنه أبو عمرو من امرأته الصهباء في حياته فولدت له أبا معيط وهو جد الوليد بن عقبة بن أبي معيط الذي سنتحدث عنه في نهاية هذه الحلقة ..

يقول ابن حبيب البغدادي - توفي في عام 245 هـ - في المنمق من أخبار قريش (ص 108) عن أصل عقبة ابن أبي معيط ما يلي :

" قالوا: أصبت فاحكم بين هاشم بن عبد مناف وبين أمية بن عبد شمس أيهما أشرف فقال : والقمر الباهر ، والكوكب الزاهر ، والغمام الماطر ، وما بالجو من طائر ، وما اهتدى بعلم مسافر ، منجد أو غائر ، لقد سبق هاشم أمية إلى المفاخر ، أول منها وآخر ، قال : فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها من حضر وخرج أمية إلى الشام فأقام به عشر سنين ، ومن ثم يقال إن أمية استلحق أبا عمرو ابنه وهو ذكوان وهو رجل من أهل صفورية ، فخلف أبو عمرو على امرأة أبيه بعده فأولدها أبان ، وهو أبو معيط ويقال استلحق ذكوان أيضا أبان " ..

(ملاحظتان : الملاحظة الأولى : ابن حبيب البغدادي كان من موالى بني العباس ، وأحد علماء الأنساب والأخبار واللغة والشعر ، كان مؤدباً وعلى أخلاق سامية ، توفي بسامراء بالعراق ..
الملاحظة الثانية : يتحدث الكتاب المذكور عن أخبار قريش في الجاهلية وصدر الإسلام ، ولم يرد فيه ذكر للقبائل الأخرى إلا ضمناً ، وهي تتضمن نواحي مختلفة من حياة قريش ، ولكنها ليست مرتبة حسب السنين أو الحوادث ، بل هي مجموعة روايات عن غير واحد من الرواة حول حوادث متفرقة في حياة قريش أو شخصياتهم البارزة ، ومن مزايا هذا الكتاب أن مؤلفه اجتزأ عدة أخبار تكشف القناع عن مساوئ أكابر قريش المسلمين وزلاتهم) ..

يقول ابن سعد – توفي في عام 230 هـ - في الطبقات الكبرى (ج 1 ص 200) عن أم المؤمنين عائشة عن النبي (ص) أنه قال ما يلي :
" كنت بين شرّ جارين ، بين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط ، إن كانا ليأتيان بالفروت فيطرحانها على بابي ، حتى إنهم ليأتون ببعض ما يطرحون من الأذى فيطرحونه على بابي " ..

ويضيف ابن سعد في المصدر السابق (ج 1 ص 201) عن عقبة بن أبي معيط ما يلي :
" كان أهل العداوة والمناوأة لرسول الله (ص) وأصحابه الذين يطلبون الخصومة والجدل أبو جهل ، أبو لهب ، إلى أن عدّ عقبة بن أبي معيط ، والحكم بن أبي العاص ، فقال : وذلك أنهم كانوا جيرانه ، والذي كان تنتهي عداوة رسول الله (ص) إليهم : أبو جهل ، وأبو لهب ، وعقبة بن أبي معيط " ..

ويقول ابن هشام – توفي في عام 218 هـ - في السيرة النبوية (ج 2 ص 57) عن عقبة بن أبي معيط ما يلي :
" كان نفر الذين يؤذون رسول الله (ص) في بيته أبو لهب ، والحكم بن أبي أمية ، وعقبة بن أبي معيط " ..

يقول الطبري – توفي في عام 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك عن إيذاء عقبة النبي (ص) ما يلي :
" أقبل عقبة بن أبي معيط ورسول الله (ص) عند الكعبة ، فلوى ثوبه في عنقه ، وخنقه خنقا شديدا " ..

يقول ابن الأثير – توفي في عام 630 هـ - في الكامل في التاريخ (ج 2 ص 140) عن كراهية عقبة للنبي (ص) ما يلي :
" عقبة بن أبي معيط واسم أبي معيط أبان بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس ، ويكنى أبا الوليد ، وكان من أشد الناس أذى لرسول الله وعداوة له وللمسلمين ، عمد إلى مكث فجعل فيه عذرة وجعله على باب رسول الله " ..

عقبة يسلم ثم يرتد ويبصق في وجه النبي ، فتنزل آيات الله فيه :

قال ابن هشام – توفي في عام 218 هـ - في السيرة النبوية (ج 1 ص 387) عن عقبة بن أبي معيط ما يلي :
" كان أبي بن خلف وعقبة بن أبي معيط متصافيين حسناً ما بينهما ، فكان عقبة قد جلس إلى رسول الله (ص) وسمع منه فبلغ ذلك أبياً فأتى عقبة فقال له: ألم يبلغني أنك جالست محمداً وسمعت منه ؟ ثم قال : وجهي من وجهك حرام أو أكلتكم ، واستغلظ له من اليمين إن أنت جلست إليه أو سمعت منه أو لم تأته فتنقل في وجهه ، ففعل ذلك عدو الله عقبة بن أبي معيط لعنه الله ، فأنزل الله تعالى فيهما (الفرقان 27 / 29) ما يلي :
" وَيَوْمَ بَعْضُ الظَّالِمِ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي كَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا " ..

مقتل عقبة في بدر على يد علي بن أبي طالب :

كان النبي (ص) قد توعد عقبة ابن معيط بالقتل إذا خرج من مكة يوم أن بصق عليه ، وكان عقبة يعرف ذلك وأخبر أصحابه بذلك ، وساقه حظه إلى الوقوع أسيراً يوم بدر ، فنفذ أمر الله فيه ..

يقول الطبري – توفي في عام 310 هـ - في تاريخ الأمم والملوك (ج 1 ص 172) عن موت عقبة بن أبي معيط ما يلي :
" ثم خرج رسول الله ، حتى إذا كان بعرق الظبية ، قتل عقبة بن أبي معيط ، فقال حين أمر به رسول الله أن يقتل : فمن للصيبة يا محمد ! قال : النار " ..

يقول برهان الدين الحلبي – توفي في عام 841 هـ - في السيرة الحلبية (ج 2 ص 186) أن النبي (ص) قال لعقبة بن أبي معيط حين قتله : " إنما أنت يهودي من أهل صفورية " ..

(ثلاث ملاحظات : الملاحظة الأولى : قال الأصفهاني في الأغاني أنه قد أطلق على ذرية عقبة بن أبي المعيط اسم " صبية النار " بسبب ما قاله له النبي ، ولو نظرنا إلى ترجمة الوليد بن عقبة لوجدنا انطباق " صبية النار " عليه ..
الملاحظة الثانية : ذكرنا في الحلقة الأولى أن والد عقبة هو ذكوان بن أمية ، وقد ولد سفاحا من علاقة بين أمية ويهودية من صفورية
الملاحظة الثالثة : تقع قرية صفورية على بعد سبعة كيلومترات شمال غرب الناصرة في شمال فلسطين ، وتسمى في السريانية " صافراية " أي الصباح ، وقد فتحها المسلمون في عام 13 هـ ..)

الحكم بن أبي العاص

هو الحكم بن أبي العاص بن أمية ابن عبد شمس ، يقول الذهبي في سير أعلام النبلاء أن الحكم كان له عشرون ولدا وثمانية من البنات ، وقد لعنه الله وما ولد ، ومن هؤلاء الحارث ومروان الذين تزوجا ابنتين من بنات عثمان ، والأخير (مروان) كان أحد الأركان الأساسية في الفتنة الكبرى التي يدفع المسلمون ثمنها إلى يوم الدين ..

نسب الرزيلة والسفاح في عائلة الحكم ابن أبي العاص :

كانت أم الحكم ابن أبي العاص هي الزرقاء بنت وهب ، وهي من البغايا وذوات الأعلام أيام الجاهلية وتلقب بالزرقاء لشدة سوادها المائل للزرقة وكانت أقل البغايا أجرا ، ويعرف بنوها بنو الزرقاء ..
ذكر : أن الإمام الحسين (ع) رد على رسول مروان بن الحكم قائلاً : يا ابن الزرقاء الداعية إلى نفسها بسوق عكاظ ، وسوف تأتي بتفاصيل أكثر عن العائلة السفاحية للحكم ابن أبي العاص عندما نتكلم عن ابنه مروان في الحلقة السادسة من هذه الدراسة ..

وكما فعل أبو سفيان بعد إسلامه الظاهري بالذهاب إلى المدينة ليتحالف مع المنافقين واليهود ، فعل الحكم بن أبي العاص الشيء ذاته ، وفي المدينة انكشف الحكم بن أبي العاص سريعا لأنه لم يكن بدهاء أبي سفيان ، ولهذا لعنه رسول الله هناك في المدينة ، وفي النهاية قرر طرده منها بعد تجاوزات صدرت منه بحق النبي ..

يقول الأزهري الشافعي المذهب كمال الدين الدميري – توفى في عام 808 هـ - في حياة الحيوان (ج 1 ص 194) أن الحكم بن أبي العاص كان يعمل خصاءً يخصى الحيوانات ..

ذكر البلاذري – توفى في عام 297 هـ - في أنساب الأشراف (ج 5 ص 126) ، والحاكم – توفى في عام 405 هـ - في المستدرک (ج 4 ص 528) ، وبرهان الدين الحلبي – توفى في عام 841 هـ - في السيرة الحلبية (ج 1 ص 317) عن عمرو ابن مرة انه قال ما يلي :

" استأذن الحكم على رسول الله (ص) فعرف صوته فقال: " ائذنوا له ، لعنة الله عليه وعلى من يخرج من صلبه ، إلا المؤمنين وقليل ما هو ، ذوو مكر وخديعة ، يعطون الدنيا ، وما لهم في الآخرة من خلاق " ..

ذكر ابن الأثير – توفى في عام 630 هـ - في أسد الغابة (ج 2 ص 37) عن ابنة الحكم ابن أبي العاص أنها قالت له ما يلي :
" ما رأيت قوما كانوا أسوأ رأيا وأعجز في أمر رسول الله (ص) منكم يا بني أمية ، فقال : لا تلومينا يا بنية ، إني لا أحدثك إلا ما رأيت بعيني هاتين ، قلنا : والله ما نزال نسمع قريشا تقول : يصلي هذا الصابي في مسجدنا فتواعدوا له تأخذه ، فتواعدنا إليه ، فلما رأينا سمعنا صوتا ظننا أنه ما بقي بتهامة جبل إلا تفتت علينا فما عقلنا حتى قضى صلاته ، ورجع إلى أهله ، ثم تواعدنا ليلة أخرى ، فلما جاء نهضنا إليه فرأيت الصفا والمروة التقتا إحداهما بالأخرى ، فحالتا بيننا وبينه ، فوالله ما نفعنا ذلك " ..

أخرج الطبراني – توفى في عام 360 هـ - في المعجم الكبير (ج 12 ص 336) عن عبد الله ابن عمر أنه قال ما يلي :
" هجرت الرواح إلى رسول الله (ص) ف جاء أبو الحسن (أي علي) فقال له رسول الله: " ادن " ، فلم يزل يذنيه حتى التقم أذنيه ، فبينما النبي يساره إذ رفع رأسه كالفرع قال : فدع (دفع) بسيفه الباب فقال لعلي : " إذهب فقدمه كما تقاد الشاة إلى حالبها " ، فإذا علي يدخل الحكم بن أبي العاص أخذا بأذنه ولها زنمة (جلد بأذن الشاة) حتى أوقفه بين يدي النبي ، فلعنه نبي الله وسلم ثلاثا ثم قال : " أحله ناحية " حتى راح إليه قوم من المهاجرين والأنصار ، ثم دعا به فلعنه ثم قال : " إن هذا سيخالف كتاب الله وسنة نبيه ،

وسيجرح من صلبه فتن يبلغ دخانها السماء " ..

(ملاحظة : ذكر المتقي الهندي – توفي في عام 975 هـ - في كنز العمال (ج 11 ص 165) الرواية وقال أن ناسا من القوم قالوا للنبي (ص) حينها : هو أقل وأذل من أن يكون هذا منه ، فقال النبي لهم : بلى وبعضكم يومئذ شيعته) ..

ذكر ابن عساكر – توفي في عام 571 هـ - في مختصر تاريخ مدينة دمشق لابن منظور (ج 24 ص 191) عن عبد الله ابن الزبير أنه قال وهو على المنبر ما يلي :
" ورب هذا البيت الحرام والبلد الحرام إن الحكم بن أبي العاص وولده ملعونون على لسان محمد " ..

وأضاف ابن عساكر في المصدر السابق (ج 11 ص 361) عن محمد ابن كعب القرظي أنه قال ما يلي :
" لعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحكم وما ولد ، إلا الصالحين وهم قليل " ..

(ملاحظة : محمد ابن كعب القرظي ولد في عام 40 هـ ، كان أبوه يهوديا من بني قريظة ، لكنه لم يقتل بحكم سعد ابن معاذ ، قال عنه العسقلاني في الإصابة في تمييز الصحابة " تابعي مشهور " ، ومات عام 108 هـ ، وقيل 120 هـ) ..

ويقول ابن الأثير – توفي في عام 630 هـ - في أسد الغابة (ج 2 ص 35 / 36) ما يلي :
" وقد روي في لعنه - أي الحكم - ونفيه أحاديث كثيرة ، لا حاجة إلى ذكرها ، إلا أن الأمر المقطوع به أن النبي (ص) مع حلمه وإغضائه على ما يكره ما فعل به ذلك إلا لأمر عظيم " ..

يقول الطبراني – توفي في عام 360 هـ - في المعجم الكبير (ج 3 ص 214) عن عبد الرحمن بن أبي بكر ما يلي :
" كان الحكم يجلس عند النبي (ص) فإذا تكلم اختلج ، فبصر به النبي فقال : كن " ..

(ملاحظتان : **الملاحظة الأولى** : يختلج تعني تقليد شخص لصوت شخص آخر بأسلوب ساخر ، وهو ما كان يفعله الحكم مع النبي (ص) ..
الملاحظة الثانية : ورد في الإصابة أن النبي قد دعي حينئذ على الحكم بأن يكون صوته كذلك ، فما زال يختلج حتى مات ..) ..

يقول البلاذري – توفي في عام 297 هـ - في أنساب الأشراف (ج 5 ص 27) عن الحكم بن أبي العاص ما يلي :
" كان جاراً لرسول الله (ص) في الجاهلية (أي في مكة) وكان أشد جيرانه أذىً له في الإسلام ، وكان قدومه المدينة بعد فتح مكة وكان مغموصاً عليه في دينه ، فكان يمر خلف رسول الله (ص) فيغمز به ويحكيه ويخلج بأنفه وفمه ، وإذا صلى قام خلفه فأشار بأصابعه ، فبقي على تخليجه وأصابته خيلة " ..

قال أحمد – توفي في عام 241 هـ - في مسنده (رقم الحديث 6233) ، والطبراني – توفي في عام 360 هـ - في المعجم الكبير (باب من اسمه حمزة) ، وابن عساكر – توفي في عام 571 هـ - في تاريخ مدينة دمشق (ج 57 ص 270) ، ونور الدين ابن أبي بكر الهيثمي – توفي في عام 807 هـ - في مجمع الزوائد (ج 1 ص 112) عن عمرو بن العاص ما يلي :
" كنا جلوساً عند النبي (ص) وقد ذهب عمرو بن العاص يلبس ثيابه ليلحقتني ، فقال : ونحن عنده ليدخلن عليكم رجل لعين ، فوالله ما زلت وجلاً أتشوف داخلاً وخارجاً حتى دخل فلان يعني الحكم " ..

(**ثلاث ملاحظات : الملاحظة الأولى** : عمرو بن العاص ومعه ابنه عبد الله لا ينتميان بنسب إلى الحكم بن أبي العاص ، فعمرو هو ابن العاص بن وائل السهمي ، بينما ينتمي الحكم – كما ذكرنا – إلى بني أمية .. وعمرو ابن عاص أذى رسول الله في حياته ودعي النبي عليه حتى بعد إسلامه ، وكان الذراع اليمنى لمعاوية في كل حروبه مع الإمام علي ، وهو من أنقذ معاوية يوم صفين من الهزيمة بخديعة رفع المصاحف على الرماح ..

الملاحظة الثانية : يعود نسب عمر ابن العاص إلى الزنا أيضاً ، فأمه هي النابغة بنت خزيمة بن الحارث ، كانت أمة لعبد الله ابن جدعان الذي كان يمتلك بيتاً للزني في مكة ، وكان أبو بكر مع أخويه (كانت أسماؤهم عاتق وعتيق وعتق) وأبوه يعملون عنده ، أعتق جدعان النابغة يوم أحد ، فعاشرها خمسة هم العاص ابن وائل السهمي ، وأبو لهب ابن عبد المطلب ، وأممية ابن خلف ، وهشام ابن المغيرة المخزومي ، وأبو سفيان ، فولدت من هذه المجموعة السفاحية عمرو ، واختارت العاص ليكون أباً له ورفضت أباً سفيان لبلخه .. راجع العقد الفريد لابن عبد ربه (ج 1 ص 164) ، المسعودي في مروج الذهب (ج 2 ص 310) ، المحاسن والمساوئ للبيهقي (ص 93) ، شرح نهج البلاغة لأبني حديد (ج 6 ص 282) ،

الملاحظة الثالثة : نزل في العاص ابن وائل القرآن لأنه كان يؤذى النبي ويسميه الأبتير ، أي الذي لا ولد له ، فجاءت فيه سورة الكوثر ، ونزلت فيه أيضاً آية 63 من سورة مريم لرفضه إعطاء رجل أتعابه ، وكذلك الآيات 77 إلى 80 من نفس السورة .. مات كافراً قبل الهجرة بدعاء النبي (ص) حيث قال : اللهم سلط عليه شوكة من أشواك الأرض ، فداس على شيء في الأرض ومات بألم في قدمه انتشر في كل جسده) ..

قال ابن الأثير - توفي في عام 630 هـ - في أسد الغابة (ج 2 ص 37) ، وابن عبد البر - توفي في عام 463 هـ - في الاستيعاب (ج 1 ص 359) أن حسان ابن ثابت قال في عبد الرحمن ابن الحكم ما يلي :
إن اللعين أبوك فارم عظامه إن ترم ترم مخلجا مجنونا
يمسى خميص البطن من عمل التقى ويظل من عمل الخبيث بطينا

ذكر ابن قتيبة الدينوري - توفي في عام 276 هـ - في المعارف (ج 1 ص 80) ما يلي :
" الحكم ابن أبي العاص كان طريد رسول الله (ص) وأسلم يوم فتح مكة ومات في خلافة عثمان ، وكان سبب طرد رسول الله إياه أنه كان يفشي سره فلعنه وسيره إلى بطن وج (الطائف) فلم يزل طريداً حياة النبي وخلافة أبي بكر وعمر ، ثم أدخله عثمان وأعطاه مائة ألف درهم " ..

يقول الذهبي - توفي في عام 748 هـ - في تاريخ الإسلام (ج 2 ص 198) عن موقف النبي (ص) مع الحكم بن العاص بالمدينة ، فيقول التالي :

" أسلم يوم الفتح وقدم المدينة ، فكان فيما قيل يفشى سر رسول الله ، فطرده وسبه ، وأرسله إلى بطن وج (الطائف) فلم يزل طريداً إلى أن ولى عثمان ، فأدخله المدينة ووصل رحمه وأعطاه مائتي ألف درهم ، لأنه كان عم عثمان بن عفان ، وقيل أما نفاه رسول الله إلى الطائف لأن كان يحكيه في مشيته ولعص حركاته " ..

يقول الذهبي في تاريخ الإسلام (ج 2 ص 200) ما يلي :
وقال الشعبي : سمعت بن الزبير يقول : ورب هذا البيت إن الحكم بن أبي العاص وولده ملعونون على لسان محمد " ..
تعليق الذهبي : إسناده صحيح

يقول الألباني - توفي في عام 1999 م - في السلسلة الصحيحة (ج 7 ص 720) ما يلي :
" وقال الشعبي ، قال : سمعت عبد الله بن الزبير يقول وهو مستند إلى الكعبة : ورب هذا البيت لقد لعن الله الحكم وما ولد على لسان نبيه " ..
تعليق الألباني : قلت وهو إسناده صحيح أيضاً ، رجاله كلهم ثقات ، وهو رجال الشيخين (أي البخاري ومسلم) ..

(ملاحظتان : الملاحظة الأولى : ولد الشعبي بالكوفة في آخر عهد عمر ابن الخطاب ، كان فقيهاً ومفسراً ، عمل في عهد عمر ابن عبد العزيز قاضياً ، مات في عام 103 هـ بالكوفة ..
الملاحظة الثانية : ربما يلاحظ القارئ الكريم أن عبد الله بن الزبير قد أحال اللعن إلى الله تعالى ، أي أن دور النبي (ص) في لعن الحكم وما ولد لم يكن إلا تطبيقاً لأمر الله تعالى ، وهو ما يتطابق مع الآية رقم في سورة : " وما لعنت إذ لعنت ولكن الله لعنهم " ..)

يقول ابن الأثير - توفي في عام 630 هـ - في أسد الغابة (ج 2 ص 37) ، وبرهان الدين الحلبي - توفي في عام 841 هـ - في سيرته (ج 1 ص 317) عن تلصص الحكم على بين النبي (ص) وهو مع زوجته ما يلي :
" أطلع الحكم على رسول الله من باب بيته وهو عند بعض نساءه بالمدينة ، فخرج إليه رسول الله (ص) بالعنزة ، وقيل بمدرى (أي قضيب من حديد) وقال : من عذيري من هذه الوزعة ، لو أدركته لقات عينه " ..

آيات الله في الحكم بن أبي العاص :

يقول القرطبي - توفي في 671 هـ في تفسيره (ج 10 ص 286) ، والحلبي - توفي في 841 هـ - في السيرة الحلبية (ج 1 ص 317) ، والشوكاني - توفي في 1255 هـ - في فتح القدير (ج 3 ص 270) ، والسيوطي - توفي في 911 هـ - في الدر المنثور (ج 7 ص 444) ، والألوسي - توفي في 1270 هـ - في تفسيره (ج 29 ص 28) أن آيتي سورة القلم 10 / 11 قد نزلت في الحكم بن أبي العاص : " وَلَا تُطْعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ هَمَّازٌ مَسْنَاءٌ بَنِيمٍ " ..

يقول القرطبي في تفسيره (ج 10 ص 286) ، والحلبي في السيرة الحلبية (ج 1 ص 337) ، والسيوطي في الدر المنثور (ج 4 ص 191) ، والشوكاني في فتح القدير (ج 3 ص 231) ، والألوسي في تفسيره (ج 15 ص 107) عن ابن مردويه عن أم المؤمنين عائشة أنها قالت لمروان بن الحكم بن أبي العاص ما يلي :

" سمعت رسول الله (ص) يقول لأبيك وجدك إنكم الشجرة الملعونة في القرآن " .. آية الإسراء رقم 60 ..

عثمان ومخالفته النبي (ص) المبكرة في عمه الحكم بن أبي العاص :

علمنا من الفقرة السابقة أن عثمان قد خالف أوامر النبي (ص) في خلافته ، فأرجع الحكم ابن أبي العاص ووصل رحمه وآواه وأعطاه الكثير من مال المسلمين ، كما هي عادة عثمان مع أقاربه في خلافته ، لكن هذا الموقف الذي تبناه عثمان مع عمه لم يبدأ في خلافته ، بل كان بمجرد وفاة النبي (ص) ، وذلك بمحاولات حثيثة منه مع الخليفة الأول أبي بكر ، ولما أيقن فشلها على مدى عامين ونصف كررها مجددا مع الخليفة الثاني عمر ..

ذكر البلاذري – توفي في عام 297 هـ - في أنساب الأشراف (ج 5 ص 27) ، والمحِب الطبري – توفي في عام 694 هـ - في الرياض النضرة في مناقب العشرة (ج 3 ص 80) ، وابن الأثير – توفي في عام 630 هـ - في أسد الغابة (ج 2 ص 38) أن عثمان قد سأل أبا بكر وبعده عمر أن يرداه ، فقال كل منهما: لا أحل عقدة عقدها رسول الله ..

قال برهان الدين الحلبي في السيرة الحلبية (ج 2 ص 76 / 77) في شأن محاولة عثمان إرجاع عمه الحكم في زمن الخليفين يلي :

" وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم طرده إلى الطائف ومكث به مدة رسول الله ومدة أبي بكر بعد أن سأله عثمان في إدخاله المدينة فأبى، فقال له عثمان: عمي ، فقال : عمك إلى النار ، هيهات هيهات أن أغير شيئا فعله رسول الله ، والله لا رددته أبدا ، فلما توفي أبو بكر وولي عمر كلمه عثمان في ذلك فقال له : ويحك يا عثمان تتكلم في لعين رسول الله وطريده وعدو الله وعدو رسوله ؟ فلما ولي عثمان رده إلى المدينة فاشتد ذلك على المهاجرين والأنصار فأنكر ذلك عليه أعيان الصحابة، فكان ذلك من أكبر أسباب القيام عليه " ..

(ملاحظة : أين كان الخليفة الثالث من آية الأحزاب رقم 21 : " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا " ؟! .. وأين هو من آية التوبة رقم 24 : " قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأمال اقتترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين " ؟! ..)

الخليفة الثالث عثمان يعطى بسخاء عمه الحكم من أموال المسلمين :

كما ذكرنا في الحلقة الماضية أن الخليفة الثالث عثمان بن عفان أعطى عمه أبا سفيان من بيت مال المسلمين بغير حق ، نراه هنا يفعل الشيء ذاته مع همه الحكم بن العاص ..

قال ابن عبد ربه – توفي في عام 328 هـ - في العقد الفريد (ج 2 ص 261) ما يلي :

" ومما نقم الناس على عثمان إنه أوى طريد النبي صلى الله عليه وسلم الحكم ولم يؤوه أبو بكر وعمر وأعطاه مائة ألف " ..

قال البلاذري في أنساب الأشراف (ج 5 ص 28) عن ابن عباس أنه قال ما يلي :

" كان مما أنكروا على عثمان إنه ولى الحكم ابن أبي العاص صدقات قضاة (منطقة باليمن) فبلغت ثلاث مائة ألف درهم فوهبها له حين أتاه بها " ..

يقول اليعقوبي – توفي في 284 هـ - في تاريخه (ج 2 ص 145) عن خازن بيت المال عبد الرحمن بن يسار أنه قال ما يلي :

" رأيت عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة إذا أمسى أتاه عثمان فقال له : ادفعها إلى الحكم بن أبي العاص ، وكان عثمان إذا أجاز أحدا من أهل بيته جائزة جعلها فرضا من بيت المال فجعل يدافعه ويقول له : يكون فنعطيك إن شاء الله ، فألح عليه فقال : إنما أنت خازن لنا فإذا أعطيناك فخذ ، وإذا سكتنا عنك فاسكت ، فقال : كذبت والله ما أنا لك بخازن ولا لأهل بيتك ، إنما أنا خازن المسلمين ، وجاء بالمفاتيح يوم الجمعة وعثمان يخطب ، فقال: أيها الناس زعم عثمان إني خازن له ولأهل بيته وإنما كنت خازنا للمسلمين ، وهذه مفاتيح بيت مالكم " ..

(ثلاث ملاحظات : الملاحظة الأولى : يدافع شيخ الإسلام الأموي ابن تيمية عن عثمان ويخلق له الأعذار في علاقته مع عمه الحكم بن العاص الذي قال فيه النبي (ص) ما ذكرنا بعضه ، ففي منهاج السنة (ج 6 ص 167) يقول التالي :

" وبالجملة فنحن نعم قطعاً أن النبي لم يكن يأمر بنفي أحد دائماً ثم يرده عثمان معصية الله ورسوله ولا ينكر ذلك عليه المسلمون وكان عثمان أتقى لله من أن يقدم على مثل هذا بل هذا مما يدخله الاجتهاد ، فلعل أبا بكر وعمر رضي الله عنهما لم يرداه لأنه لم يطلب ذلك منهما وطلبه من عثمان فأجابيه إلى ذلك

أو لعله لم يتبين لهما توبته وتبين ذلك لعثمان وغاية ما يقدر أن يكون هذا خطأ من الاجتهاد أو ذنباً " ..
الملاحظة الثانية : يعتبر الذهبي ضمن المدافعين عن الأمويين أيضاً ، لكن ليس بقوة حاميههم الأول ابن تيمية ، في خصوص الحكم بن العاص لم يجرأ الذهبي على تخطي الخطوط الحمراء كما يفعل ابن تيمية غير مرة ، وهذه المرة مع الحكم ..
يقول الذهبي في العبر في خبر من غير (ج 1 ص 5) عن الحكم بن العاص ما يلي : " الحكم بن أبي العاص بن أمية الأموي ، والد مروان وابن عم أبي سفيان ، وعم عثمان بن عفان ، أسلم يوم الفتح ، كان يفشي سر النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل كان يحاكيه في مشيته ، فطرده إلى الطائف وسبه ، فلم يزل طريداً إلى أن استخلف عثمان ، فأدخله المدينة وأعطاه مئة ألف " ..
الملاحظة الثالثة : أين الخليفة الثالث عثمان من آية التوبة رقم 60 : " إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليهما "؟! .. وأين هو من آية التوبة رقم 103 : " خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكهم بها "؟! ، وأين هو من آية المائدة رقم 2 : " وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان "؟! ..) ..

موت الحكم وحزن عثمان عليه :

مات الحكم بن العاص في عام 31 هـ أثناء خلافة ابن أخيه عثمان بن عفان ، فجعل عثمان موت الحكم فرصة لإظهار حزنه على عمه ، فجهل يوم وفاته يوماً مشهوداً ..

يقول اليعقوبي – توفي في عام 284 هـ - في تاريخه (ج 4 ص 164) أن الخليفة الثالث لما مات عمه الحكم بن العاص أقام على قبره فسطاطاً ، على عادة أهل الجاهلية بإظهار الحزن عليه ، فأظهر حبه للحكم عدو النبي (ص) وأقام مراسم جاهلية له ..

في الحلقة القادمة إن شاء الله ، سنتعرف على فرع آخر من فروع الشجرة الملعونة في القرآن ، فإلى لقاء ..

رائف محمد الويشي

سانت لويس – ميزوري - أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com